جامعة المنصورة
كلية التربية

التشاكل السيميولوجي في كتاب البخلاء للجاحظ

إعداد

عبد القادر موسى سليمان

باحث دكتوراه- جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

إشراف

أ.د/ حسام الدين سمير

أستاذ مشارك في جامعة محمد بن زايد للعلوم الإنسانية

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة

العدد ١٢٠ – اكتوبر ٢٠٢٢

التشاكل السيميولوجي في كتاب البخلاء للجاحظ

عبد القادر موسى سليمان

مُـقـدِّمَـة

[أ]- موضوع الدراسة :

اختلفت النظريات النقدية وتعددت مناهجها في دراسة العمل السيميائي، حيث أحاطته بجملةٍ من الإجراءات، وظلت جاهدة للكشف عن خباياه، وتقييم جمالياته، فكانت من بينها الدراسات السيميائية المعتمدة على مجموعة آراء معرفية وإجراءات تطبيقية تتكئ على ركائز ومعتقدات عديدة، تتيح لها الوقوف عند عتبات العمل الأدبي، وتمنحها فرصة الولوج إلى أعماقه، وإظهار حلته، والظفر بمغزى دلالته، وإبراز أهدافه وغاياته، فغاية المنهج إذن البحث في إرهاصات تطفو فوق الشكل أو تغوص داخل المضمون.

[ب]- أهداف الدراسة :

يهدف البحث إلى :

١- وصف أبنية التشاكل السيمولوجي وشواهده في كتاب البخلاء للجاحظ.

٢- الوقوف على استقراء وظائف العلامات في أدب الجاحظ بعامة وفي كتاب البخلاء بخاصة.

٣- الكشف عن الأنساق المُضْمَرَة في تحليلات الخطاب السيميائي عند الجاحظ.

٤- الإشارة إلى المَنويّ والضِّمْنِيّ وغير المُصَرَّح به في قصص البخلاء.

[ج]- أهمية الموضوع وأسباب الاختيار :

تتمثل أهمية الموضوع وأسباب اختياره في النقاط الآتية :

- الإسهام في إحياء التراث الأدبي من خلال آليات حديثة وقراءات جديدة.
- الرغبة في البحث في قصص البخلاء والكشف عن بنيتها العميقة.
- قلة الدراسات التي تناولت آلية التشاكل السيميولوجي في المجال السردي وخاصة القديم منه.

[د]- إشكاليات الدراسة وفرضياتها :

يعد كتاب البخلاء للجاحظ موسوعة علمية وأدبية واجتماعية وتاريخية وجغرافية يروي قصص شخصيات قابلها، عُرِفت بالبخل، إلا أن هناك بعض الشخصيات يعتقد أنها من نسج خياله، ولقد استطاع أبو عثمان من خلاله أن يجعل القارئ في متعة متصلة من مفتتحه إلى

ختامه، وأطلعنا بصورة بينة على قدراته الفنية، في اصطناع السخرية، وحبك الحوار المضحك، على نحو لم يطاوله فيه أحد، وبأسلوب لم يُسبق إليه.

وعلى الناقد السيميائي التسلح بكل الآليات لاستنباط واستخراج الإيحاءات من مثل هذه الكتب القيمة والتي منها كتاب البخلاء للجاحظ بغية الكشف عن المستوى العميق الذي يهتم بدراسة التشاكل واستقراء القيم الدلالية والسيميولوجية، فقد تتشاكل أو تتباين العلامات وتشير إلى وظائف معلومة أو مَنْوِيَّة/مُضْمَرَة.

ومن بين الآليات التي تمثل أهم أدوات المقاربة السيميائية والإجرائية التشاكل والتباين، ويعد التشاكل أداة إجرائية تتجسد في العمل الأدبي، وتتميز بأهميتها بوصفها خاصية فنية تسهم في الإمساك بالمعنى الحقيقي للعمل الإبداعي والكشف عن مكنوناته المضمرة ومدى اتساقها وانسجامها.

كما يحاول البحث الإجابة على الأسئلة الرئيسة الآتية :

١- ما مظاهر التشاكل السيمولوجي وأنماطه المختلفة المبثوثة في كتاب البخلاء ؟

٢- ما الآليات الإجرائية التي يمكن أن يُجَسِّدَها المربَّع السيميائي لغريماس في إيضاح نماذج البخل ؟

٣- كيف ظهرت أبنية التشاكل في كتاب البخلاء للجاحظ ؟

هـ- منهج الدراسة :

اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، الذي يقوم برصد الظاهرة ووصفها، ومن مستلتزماته التحليل ومقاربة النصوص كما يدور في فلك المنهج السيميائي ؛ إذ تُعَدُّ دراسة التشاكل جزئية من جزئياته وآلية من آليات مقاربته للنصوص الأدبية، وهو منهج نراه ملائمًا لطبيعة موضوعنا حيث يسهم في استكمال الجوانب العلمية للمحتوى المدروس.

و- حدود الدراسة :

اقتصرت الدراسة الحالية على موضوع : التشاكل السيميولوجي في كتاب البخلاء للجاحظ.

ز- الدراسات السابقة :

وقف الباحث على عدد من الدراسات السابقة المتعلقة بموضوع الدراسة ومنها :

- دراسة آمال التو، التشاكل في شعر عبد الله البردوني، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٢١.
- أحمد مداس، التشاكل والتباين في الخطاب الشعري، مجلة الآداب، مج ٨، ع٤، ٢٠٢٠.

- يوسف، وغلسي، مفاهيم التشاكل في السيميائيات العربية المعاصرة، مجلة الآداب، مج٣، ع٧، ٢٠١٩.
- لحلوحي، صالح، التشاكل والتباين في شعر مصطفى الغمازي، مجلة الأثر، جامعة بسكرة، الجزائر، ع١٧، ٢٠١٣.
- مفاتيح، إيصال، بنية التشاكل والتباين في كتاب البخلاء للجاحظ، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح- ورقلة الجزائر، ٢٠١٩ – ٢٠٢٠.

واستفادت الدراسة من الدراسات السابقة ولكن الإضافة التي يرجوها بحثي تتمثل في رصد أنماط التشاكل السيمولوجي ووصف عمله في قصص البخلاء إسهامًا في إعادة قراءة الموروث البلاغي الأدبي المتمثل في كتاب البخلاء للجاحظ.

ح- خطة الدراسة وإطارها العام :

اقتضت طبيعة الدراسة أن يقع البحث في مقدمة ومدخل نظري تمهيدي ومبحثين تليهما خاتمة. عرضت في المدخل النظري التعريف بالجاحظ وكذلك التعريف بكتابه البخلاء، على حين تناولت في المبحث الأول مفهوم التشاكل من الناحية اللغوية والاصطلاحية، إضافة إلى تحديد مرجعيته في الدراسات العربية والغربية، والمبحث الثاني مبحث تطبيقي خصصته لدراسة السمات السيميولوجية والدلالية ورصد أقطاب المربع السيميائي.

وقد جاءت الخاتمة لتبرز جملة من النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا.

مدخل نظري

أولًا : التعريف بالجاحظ :

أ. مولده ونشأته :

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الفقيمي، لقب بالقب بالجاحظ لجحوظ عينيه، أي نتوءها، وكان هذا اللقب لا يعجبه، على ما يظهر، فيتبرم بمن يدعوه به، ويجهد نفسه لكي يقرر في أذهان الناس أن اسمه عمرو، وأنه يحب أن يدعى بهذا الاسم.

كان قصير القامة، دميم الوجه، يضرب المثل ببشاعته، ولكنه كان خفيف الروح، حسن العشرة ظريف النكات، يتهافت الناس إلى الاستماع بنوادره.

ولد في البصرة وتوفي والده وهو صغير، ونشأ فقيرا يبيع الخبز والسمك في سيحان بالبصرة، ولعله أفاد من هذه التجارة ما أغناه بعض الشيء، فانصرف في مجالسة العلماء ويسمع

من العرب الخلص في المريد فتلقى عن الخطباء أساليب التعبير، وتردد إلى مجالس الأدباء يسمع لهم ويأخذ عنهم[1].

ب. حياته الثقافية :

كانت ثقافة الجاحظ واسعة متنوعة تحيط بشتى ألوان الثقافات المختلفة التي مازجت الثقافة الإسلامية في عمره.

فقد اشتملت ثقافة كافة العلوم المعروفة في عصره، كان ذلك نتيجة مجالسته لأكبر الأساتذة والدارسين، فقد كان منذ صغره محبا للتعلم في جميع المجالات.

لا شك أن عصر الجاحظ وعقليته وشغفه بالدراسة والبحث وعكوفه على القراءة ونشأته بالبصرة ومجامعها العلمية وتلمذته على يد كثير من أساتذة الثقافة العربية في شتى مناحيها، له أثر في ثقافة الجاحظ الواسعة والجوانب المتعددة الألوان.

فقد كان الجاحظ شغوفا يجب تثقيف نفسه، فقد كان يجالس كبار الأساتذة ويتعلم منهم، هذا ما زوده بثقافة هائلة، كان يقضي يومه بالتردد إلى حلقات التدريس رغبة في طلب العلم[2].

لقد تتلمذ الجاحظ على أساتذة كانوا زينة الدنيا وغرة في جبين الدولة العباسية منهم الأصمعي الذي كان يحفظ ثلث اللغة، وأبو عبيدة الذي لم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلوم منه، وأبو زيد الأنصاري وقد قيل عنه وعن سابقيه:

إن هؤلاء الثلاثة كانوا في عصرهم أئمة الناس في اللغة والشعر وعلوم العرب.

فقد نتج عن مجالسته لكبار الأدباء ومناقشتهم في الأدب والشعر واللغة وموهبته في الكتابة والتأليف.

كذلك تتلمذ على يد الأخفش الذي كان من أعلم الناس بالنحو والصرف و (صالح من جناح اللخصي)، وقد أدرك التابعين وكلامه مستفاد في الحكمة، و(إبراهيم بن يسار البلخي) وكان في جملة ما يحفظه الانجيل والتوراة والزبور وتفسيرها، عدا الشعر والادب الغريب[3].

فبالإضافة إلى حبه للتعلم وموهبته الإبداعية، كان لتعلمه عند خيرة الأساتذة الأثر الكبير فيما وصل إليه، فلم يصل الجاحظ إلى تلك المكانة القيمة بين الأدباء إلا بفضل التحاقه بحلقات

---

[1] ينظر: أحمد، عزت، **فلسفة الأخلاق عند الجاحظ**، أتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.

[2] ينظر: الفزني، عبد الكريم، **المضحك في كتاب البخلاء**، دار الوفاء، بغداد، ٢٠١٣.

[3] ينظر: أحمد، عزت، مرجع سبق ذكره، ص٢١.

العلم المسجدية وولعه بالمطالعة وقراءة الكتب، فكان يعرف بأنه لم يكن يقع بيده كتاب قط إلا واستوفى قراءته.

لقد كان الجاحظ أستاذ ثقافة الإسلامية في النصف الأول من القرن الثالث، وكان مجده الأدبي الذائع يعصف بمجد كل أديب، ويدوي في كل افق، ويرن صداه في سمع كل كاتب وشاعر وخطيب[١].

فقد فتن الجاحظ بأسلوبه وأدبه وثقافته الواسعة جل العلماء والأدباء، فذاع صيته وأصبح حديث النقاد حتى بعد وفاته.

تعصب له الكثير من رجالات الثقافة الإسلامية في شتى عصورها، فألفوا الكتب في الإشادة به كما فعل أبو حيان التوحيدي في كتابه تقريظ الجاحظ.

فقد ألف أبو حيان التوحيدي هذا الكتاب، حيث جمع فيه أخبار الجاحظ، كما أشاذ فيه بذكاء الجاحظ وفطنته وسرعة بديهته، وقدرته على الكتابة في النثر والنظم.

وكان إخلاص الجاحظ للثقافة والفكر أعظم من اخلاصه للحياة نفسها، وكان خوضه في مجامع الثقافة والعلم يشغله عن الخوض في ميادين السياسة والاجتماع، وكانت لذته في الدراسة والبحث والتأليف أكثر من لذته في مجد السياسة وسلطانها.

فقد كان الجاحظ متفرغا فقط للثقافة غير مهتم بالأمور السياسية، فكان يذهب إلى مريد البصرة ليأخذ اللغة مشافهة عن الأعراب، كما اشتهر عن الجاحظ أنه لم يكن يكتفي بقراءة الكتاب أو الكتابين في اليوم الواحد، فلا يمل ولا يتعب[٢].

اتصل الجاحظ باليونان وثقافتهم من كتبهم المترجمة وعن طريق المتكلمين وبمجالسته لكثير من المثقفين.

فكما هو معروف عن أنه لم يهتم فقط بالثقافة العربية بل اطلع على الكثير من الثقافات الأخرى.

كما حذف الثقافة الفارسية من كتب ابن المقنع وسواه، وتوسع في الثقافات كلها بما كان يقرأه من الكتب.

---

[١] ينظر: الفزني، عبد الكريم، **المضحك في كتاب البخلاء**، دار الوفاء، بغداد، ٢٠١٣.

[٢] ينظر: أحمد، عزت، مرجع سبق ذكره، ص٣٤.

ومن البديهي أن الجاحظ ألم بالثقافة الفارسية المترجمة إلماما واسعا، ويبدو أنه كان يصرف اللغة الفارسية، ففي البخلاء يدعي الجاحظ كلام بخيل من اهل مرو تجاهل رجلا زاره من أهل العراق: لو خرجت من جلدك، لم أعرفك. وترجم الكلام بالفارسية.

كما هو شائع عن الجاحظ أنه سريع التعلم، إذا تعلم لغة وأتقنها فهو يتقنها كلغته الأم. وأثر ثقافته الفارسية واضح في مؤلفه (البيان)، أما أثر ثقافته اليونانية فواضح في كتابه (الحيوان) وكتابه (البيان).

هذا لأن الجاحظ كان يلتهم كل الكتب التي تقع تحت يده، فأخذ في تعلم تاريخ وأدب الفارسيين واليونانيين في الكتب التي نقلت إلى العربية[1].

ثقافته ومعارفه كانت كثيرة إذ أنفق سنوات طويلة من حياته التي امتدت قرابة قرن من الزمان في تحصيل الأخبار والعلوم.

لقد اعتنق الجاحظ أفكار المعتزلة وتتلمذ على أعلامهم، ثم صار بعد ذلك قطبا من أقطاب المعتزلة وصاحب فرقة من فرقهم نسبت إليه فعرفت بالجاحظية.

وقد كان للجاحظ أسلوبه الخاص في الكتابة والتأليف، لا يمسي مع منهج غيره من الأدباء. لقد عرف الجاحظ بميوله الغريزي للمطالعة والتنقيب في الكتب ليتمم معلوماته الشفهية[2].

لم يكتف الجاحظ التردد إلى أوساط معينة بغية التعمق في مادة اختارها بل لازم كل المجامع، وحضر جميع الدروس، واشترك في مناقشات العلماء المسجديين، وأطال الوقوف في المريد ليستمع إلى كلام الأعراب، ونضيف إلى جانب هذا التكوين الذي لم يعدله طابع مدرسي محدود، المحادثات التي جرت بينه وبين معاصريه وأساتذته حول مختلف المواضيع من جهة وقراءة الكتب التي حصل عليها من جهة أخرى[3].

هكذا أفنى الجاحظ حياته في تحصيل العلوم والأخبار مهما طالع وقرأ لا يرضى، ينتقل من مكان إلى آخر حتى يشبع عقله لكنه لا يشبع، حياته حافلة بالكتابات فقد كتب في كل المجالات وتطرق لجل المواضيع، ثقافته غير محدودة ظل يغذيها حتى آخر يوم في حياته.

---

[1] ينظر: أحمد، عزت، مرجع سبق ذكره، ص٤٥.

[2] ينظر: الفزني، عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص٤٩.

[3] ينظر: أحمد، عزت، مرجع سبق ذكره، ص٥١.

ثانيًا: التعريف بكتاب البخلاء:

أ- ماهية كتاب البخلاء:

يعد كتاب البخلاء للجاحظ موسوعة علمية وأدبية واجتماعية وتاريخية وجغرافية يروي قصص شخصيات قابلها، عرفت بالبخل، إلا أن هناك بعض الشخصيات يعتقد أنها من نسخ خياله، وقد سخر من طمع المعلمين والمغنيين والكتبة والمتسولين في قالب نثري قصصي مفعم بالحياة، عرف الدكتور أحمد عبد الغفار عبيد في كتابه أدب الفكاهة عند الجاحظ البخلاء قوله: "أما نوادر البخلاء فهي من أنفس ما للجاحظ من فكاهات، وأحلفها بالمتعة، وأمثلها بالسخرية الهادفة، والاحتجاج المضحك، والتلميح البارع، والتهكم اللاذع ويعد كتاب البخلاء الأثر الأدبي الفذ الذي يمثل الأدب الفكاهي عند العرب أصدق تمثيل، إذ استطاع أبو عثمان من خلاله أن يجعل القارئ في متعة متصلة من مفتتحه إلى ختامه، وأطلعنا بصورة بينة على قدراته الفنية، في اصطناع السخرية، وحبك الحوار المضحك، على محو لم يطاوله فيه أحد، وبأسلوب لم يسبق إليه"[1].

فعند قراءتك لكتاب البخلاء يمكن أن تضحك كثيرا إن جاز للبخل أن يكون فنا، لكن وراد ذلك الضحك تكمن الحكمة ومهارات التعامل مع الحياة، ومن زاوية ثانية أعمق، فإن البخلاء هم لسان حال يعبر عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع، فمن خلالهم تكتشف البنى العديدة لنسيج الحياة في أي عصر كان.

"كانت شخصية الجاحظ أقوى ما تكون ضهورا (حضورا) في كتاب البخلاء فعلى الرغم من اختفائه المصطنع وراء شخصيات عديدة من عامة البخلاء، إلا أنه كان اختفاء له دواعيه الفنية المتمثلة في جدية الحوار، وواقعيته، بيد أن الجاحظ كان في مواطن محددة ولدواع قوية، فتحضر بحضوره شخصية العالم الفاقه،

والحكيم الناصح الذي يوجه ويصحح ويعلق وينتقد، من أمثلة ذلك ما ذكره الجاحظ أثناء حكايته (نوادر المروزيين البخلاء)"، فالبخيل هو إنسان يسكن اللحظة والحضور، أو يسكنه الزمن الراهن، لهذا لا ينشغل بالمستقبل ولا بالماضي، ويصر على الإمساك بما عنده من أشياء خشية

[1] ينظر: أحمد، عزت، مرجع سبق ذكره، ص٧٧.

ضياعها أو تلفها، وهذا يعطي البخل مغزى فلسفيا أكثر من دلالته المباشرة في كونه عملا قد يوصف بأنه رذيل[١].

كتاب البخلاء من أنفع مؤلفات الجاحظ، اتسم بروح ظل الكاتب الخفيفة، فهو كتاب فكاهي بطابع أدبي علمي، أسبغ في وصف الحياة الاجتماعية في زمن العصر العباسي، فتطرق إلى أسرار البيوت ودخائلها وشؤونهم الخاصة والعامة، وأسهب في وصف أحوال الأسر وعاداتهم بأسلوب شيق ومعبر ودقيق تظهر فيه جزالة الألفاظ، وبراعته وتميزه في صياغة الجمل عن الآخرين[٢].

اختلف متى ألف الجاحظ كتاب البخلاء؟؟، فعند قراءة محتويات الكتاب تطالعنا الأخبار والمعلومات التي توحي بأنه ألف الكتاب وهو كبير في السن فقد كان يحمل هم السنين على كتفيه، بينما الأسلوب المتبع في السخرية والفكاهة والعبث الذي فاض به الجاحظ توحي بتأليفه في سن الشباب لهيمنة روح الدعابة[٣].

أشار الجاحظ في مقدمة البخلاء أنه ألفه نزولا عند رغبة أحد عظماء الدولة ولكنه لم يذكر اسمه، لكن يبدو أنه ابن المدبر الذي كان صديقا قريبا للجاحظ أو إلى الفتح بن خاقان الذي كان معجبا جدا بكتابات الجاحظ، وكان يشجعه دائما على التأليف، أو إلى محمد بن عبد الملك الزيات الذي كان تربطه صلة وثيقة بالجاحظ.

يمثل كتاب البخلاء دراسة نفسية واجتماعية واقتصادية وتربوية للبخلاء الذين عاشرهم في محيطه في "مدينة خرسان" وقد وصفهم وصفا صادقا جسد فيه واقعهم النفسي والاجتماعي بطريقة فكاهية هزلية، فوصف بخلهم وتصرفاتهم وسلوكهم الذي يعكس نفسياتهم وأحوالهم النفسية، ووصف تعابير وجوههم الهادئة أو القلقة، وكشف أسرارهم وخفايا منازلهم والحوارات التي تدور بينهم دون ترك انطباع سيء في نفس القارئ على هؤلاء الناس[٤].

---

[١] ينظر: الفزني، عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص٧٧.

[٢] ينظر: أحمد، عزت، مرجع سبق ذكره، ص٨٥.

[٣] ينظر: الفزني، عبد الكريم، مرجع سبق ذكره، ص٨٣.

[٤] ينظر: أحمد، عزت، مرجع سبق ذكره، ص٨١.

المبحث الأول : مفهوم التشاكل ونشأته

أولًا : تعريف التشاكل :

١/ التشاكل لغة :

عرفه "ابن منظور" في باب مادة شكل بقوله:« الشكل بالفتح :الشبه والمثل، والجمع أشكال و شكول... و قد تشاكل الشيئان و شاكل كل واحد منهما صاحبه... والشكل : المثل، نقول : هذا على شكل هذا أي على مثاله، و فلان شكل فلان أي مثله في حالاته، ويقال : هذا من شكل هذا أي من ضربه و نحوه، وهذا أشكل بهذا أي أشبه، والمشاكلة الموافقة، والتشاكل مثله"[١].

وقال عنه "الفيروز أبادي" : « المشاكلة : الموافقة كالتشاكل وفيه أشكله من أبيه، وشكلة، بالضم. وشاكل، أي شبه، هذا أشكل به، أي أشبه ».

أما القزويني فقد عرف المشاكلة بأنها : « ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا أو تقديرا ».

أما معنى التشاكل في معجم المعاني الجامع[٢] :

١-تشاكل: (فعل) تشاكل يتشاكل، تشاكلاً، فهو متشاكل

تشاكل الولدان : تشابها، تماثلاً، توافقا، تشاكل المنظران

تشاكل الرجلان : تعاركا وتخاصما

٢- تشاكل: (اسم)

مصدر تشاكل : تشاكل الولدين : تشابههما ، تماثلهما تشاكل المشهدين

٣-تشاكل: (اسم) : تشاكل : مصدر تشاكل

٤-شاكل: (فعل : خماسي لازم) تشاكل ، يتشاكل ، مصدر تشاكل

شاكل يشاكل ، مشاكلة ، فهو مشاكل ، والمفعول مشاكل

شاكل فلانًا : شابهه ، ماثله، وافقه . تشاكل المنظران

٥-تشاكل: (مصدر شاكل) : لاحظ مشاكلة في مواد الصناعة التقليدية: مشابهة، مماثلة. وما

٦-**شاكل ذلك : ما كان على نمطه.**

---

[١] ينظر: لحلوحي، صالح، التشاكل والتباين في شعر مصطفى الغمازي، **مجلة الأثر**، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (١٧)، ٢٠١٣.

[٢] ينظر: عمر، أحمد مختار، **سيميائية النص الأدبي**، دار الثقافة والعلم، الشارقة، ٢٠٠٧.

ومنـــه نـــقـــول: استشكل، استشكال، إشكال، إشكالية، أشكل، أشكال، تشكل، تشكيل، تشكيل، تشكيلات، تشكيلة، تشكيلية، شكل، شكلة، شكلاء، شكلاني، شكلانية، شكلي، شواكل، شكول، شكال، شاكل، شاكلة...

وفي معجم : اللغة العربية المعاصر :

١-مشاكلة : (اسم) مصدر شاكل والمشاكلة : المشابهة ، المماثلة.

٢-المشاكلة : (بلاغة) أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته.

٣-مشاكلة : (اسم) مشاكلة : مصدر شاكل.

٤-شاكل : (فعل) شاكل يشاكل، مشاكلة، فهو مشاكل ، والمفعول مشاكل.

٥-شاكل فلاناً : شابهه، ماثله، وما شاكل ذلك : ما كان على نمطه.

٦-مشاكل : (اسم) مشاكل : اسم المفعول من شاكل.

٧-مشاكل : (اسم) مشاكل : فاعل من شاكل[١].

٢ / التشاكل اصطلاحا :

التشاكل مصطلح ذو أصول مفاهيمية كيميائية وفيزيائية، أستعير للتعبير عن مفهوم سيميائي حديث. والتشاكل كيميائيا يحمل مفهوما خاصا وهو: وجود مركبات ذات صيغ جزيئية واحدة ، لكنها تختلف في التركيب أو في توزيع الذرات، أو المجموعات في الفراغ، ونظرا لهذا الاختلاف توصف هذه المركبات الكيميائية بالمتشاكلة، فمثلا يوجد مركبان كيميائيان يحملان نفس الصيغة الجزيئية التالية:C2H6O لكـــن خواصهما مختلفة تماما فأحـــدهما هـــو ثنـــائي ميثيل إيثـــر CH3OCH3 والثـــانـــي هـــو الإيثانول: $CH3CH2OH^2$.

وتبسيطا لما ذكرنا نقول: يقصد بالتشاكل في مجال الكيمياء تماثل أو تشابه مركبية كيميائيين في جنس الذرات المكونة لها ، واختلافهما فقط في طريقة اتصال هذه الذرات فيما بينها، فكلما اختلفت كيفية اتصال هذه الذرات تكونت مركبات جديدة مختلفة عن بعضها البعض.

---

[١] ينظر: القاضي، محمد، **معجم السرديات**، دار محمد علي للنشر، تونس، ٢٠١٠.

[٢] ينظر: كورتيس، جوزيف، **مدخل إلى اليسميائية السردية**، دار الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧.

أما دلالته الكيميائية في التصنيف الشهير – ١٨٦٩ – للعالم الروسي "إيفانوفيتش مندليف" فتُحيل إلى: «ذرات العنصر الكيميائي الواحد، التي لا تختلف إلا في عددها أو كتلتها الذرية"[١].

ثم إن المصطلح في بعض المعاجم غير المختصة يعد الخاصية التي تمتاز بها بعض الدوال ذوات التناظر المعنوي، وقد ورد في معجم "لاروس الفرنسي" بلفظة (Isotope) أي متشاكل (بكسر الكاف) في حدود ١٩٢٢ حكراً على حقل الفيزياء والكيمياء ليعبر بها عما يلي[٢]:

١- عن عناصر كيمياوية متماثلة لا تختلف فيما بينها إلا من حيث كتل ذرتها.

٢- المتشاكل الإشعاعي ويستعمل في الطب لتشخيص ومعالجة بعض الأمراض.

وفي نفس القاموس نجد لفظة: (la cohesion – la coherence) وهي بمعنى الانتظام المنطقي للوحدات اللغوية أو الاتساق .

ومن خلال البحث في المراجع المتخصصة في الكيمياء العضوية عن المصطلح والتأكد من مدلوله ومعناه ، نجد الآتي: يمكن لصيغة جزئية معينة أن تمثل أكثر من مركب كيميائي واحد، والاختلاف في تتابع الذرات المرتبطة تساهمياً ، وهو ما يؤدي إلى وجود **متشاكلات بنائية** لها خواص فيزيائية مختلفة والمركبات التي تمثلها صيغة جزئية واحدة وفيها نفس تتابع الذرات المرتبطة تساهميا ولكنها تختلف في توزيعها في الفراغ هذه المركبات تسمى **بالمتشاكلات الفراغية** . وتقسم المتشاكلات الفراغية إلى قسمين رئيسيين : المتشاكلات التي يمكن أن يتحول بعضها إلى البعض الآخر في درجة حرارة الغرفة وتسمى هذه **بمتشاكلات الأشكال الفراغية** . أما المتشاكلات الفراغية التي يتحول أحدها للآخر بصعوبة ...فتسمى **متشاكلات فراغية تشكيلية...**»[٣]

إذن للمصطلح دلالة كيميائية فيزيائية مرتبطة بتشاكل وتماثل عدد من المركبات الكيميائية في الصيغة الجزئية لها، وهو بهذا المعنى مقارب لمدلوله السيميائي، وكنت قد سألت بعض الأساتذة في الميدان – الكيمياء – إذا ما كان المصطلح لا يزال يستعمل إلى اليوم، بهذا المعنى، فأكدوا لي ذلك مع وجود مصطلح آخر مرادف له وهو : التماكب الفراغي ، والمتماكبات

---

[١] ينظر: لحلوحي، صالح، مرجع سبق ذكره، ص١٠٢.

[٢] ينظر: عباس، مريم، **التشاكل في المفهوم العربي**، دار ابن خلدون، بغداد، ٢٠١١.

[٣] ينظر: عباس، مريم، مرجع سبق ذكره، ص١٠٦

الفراغية، وأظنها تدور في نفس الدلالة لأن التماكب من المواكبة والآنية الزمانية والمكانية لمركبين كيميائيين.

ويعود الفضل للساني الفرنسي "**جوليان ألجيرادس غريماس A.J. Greimas** – عام ١٩٦٦– في استعارة هذا المصطلح الكيميائي وإدخاله الى حقل الدراسات النقدية الأدبية ، فحمله دلالة سيميائية جديدة، تقوم على: **التواتر، والتكرارية (Iterativité)، الوحدة؛ والتوازي؛ والتجانس؛ والتناظر؛ والتشابه؛ والتماثل؛ كما يدل على على تساوي الخصائص في جميع الجهات.** إنّ رائد المدرسة الباريسية "**غريماس**" اقتبس المصطلح من حقل الكيمياء مستثمراً إياه في حقل السيميائية السردية. وجعله من أهم المفاهيم المركزية في تحليل الخطاب، وبناء المعنى، وتحقيق الاتساق والانسجام، واستكناه الدلالة مهما عمقت بنياتها.

ولئن كان "غريماس" صاحب الشبق في تبني المصطلح وإدخاله حقل الدراسات اللغوية، فإننا لا نعدم وجود محاولات عربية سابقة من طرف البلاغيين الذين حاموا حول المفهوم دون أن يلامسوا جوهره ولبه.

المبحث الثاني : التشاكل السيميولوجي في كتاب البخلاء

أولًا : تشاكل بني البخل :

١– بخل الرجال

٢– بخل النساء

٣– بخل الصبية

٤– بخل الحيوانات

وسوف نتطرق لكل واحدة منها على حدا كالتالي:

١– بخل الرجال :

وشمل عدة مجالات (المأكل و المشرب، اللباس، المال، السلوك و المعاملات ...) سنحاول الإحاطة بها جميعا.

أ– البخل في المأكل و المشرب :

يعيش نموذج البخيل نفسية مضطربة غير مستقرة، فهو في حالة قلق دائم، خاصة عندما يتعلق الأمر بالطعام، ونعني طعامه هو على وجهه الخصوص، فهو يعيش في عذاب مستمر يراقب كل ذرة من طعامه، و تتمزق نفسه بقدر تمزق مائدته، و عليه يمكن أن نقسم الصورة التي

رسمها لنا الجاحظ بهذا الخصوص من خلال عرض مختلفة لهذا النوع من البخل المادي في المأكل و المشرب[1]:

• سهل بن هارون و مذهبه :

وجاء في رسالة سهل بن هارون فيما يتعلق بالاقتصاد في الإنفاق في الطعام قوله: "عبتموني بقولي لخادمي: أجيدي عجنه خميرا، كما أجدته فطيرا، ليكون أطيب لطعمه، وأزيد في ربعه".

فمن خلال قوله نلاحظ أنه كان يوصي و يلح على خادمته بأن تجيد العجن ليكون ذلك أكثر و أزيد في ريع العجين، أي في نموه، فهو ينادي بالتوفير في الطعام، و لدعم قوله هذا استشهد بكلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهله: " أملكوا العجين ، فإنه أربع الطحنتين"، فحجته حاضرة و شاهده في قوله مقنع.

وقال في الموضوع نفسه: "وعبتموني حين قلت للغلام: إذا زدت في المرق فزد في الإنضاج، لتجمع بين التأدم باللحم و المرق، و لتجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب".

و قد استشهد في قوله هذا بحديث الرسول صلى الله عليه و سلم: " إذا طبختم لحما فزيدوا في الماء، فإن لم يصب أحدكم لحما أصاب مرقا".

لقد وجد بخلاء الجاحظ ما يؤكد طريقتهم ويؤيد منهجهم وذلك بأحاديث من السنة النبوية و أقوال مأثورة عن الصحابة، و هو ما يدل على عمق فهمهم لآداب البخل و تأصيل لأبجدياته وتنظير لممارساته[2].

زد إلى هذا مناداته إلى الاقتصاد في الماء، فقال: " من لم يعرف مواقع الشرف في الموجود الرخيص، لم يعرف مواقع الاقتصاد في الممتنع الغالي: فلقد أتيت من ماء الوضوء بكيلة يدل حجمها على مبلغ الكفاية، و أشف من الكفاية "

و ما نستنتجه من قوله هذا، أنه كان يشح في الماء ظنا منه أنه مقتصداً و موفراً. و استشهد أيضا في هذا بقول الحسن عند ذكر السرف: " إنه ليكون في المعونين الماء والكلإ. فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلإ".

---

[1] ينظر: الفزني، عبد الكريم، **المضحك في كتاب البخلاء**، دار الوفاء، بغداد، ٢٠١٣.

[2] ينظر: أحمد، عزت، **فلسفة الأخلاق عند الجاحظ**، أتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.

و أورد الجاحظ أيضا قوله: "عبتموني حين ختمت على سد عظيم، و فيه شيء ثمين أمة لكعاء ء و زوجة من فاكهة نفيسة، و من رطبة غريبة، على عبد نهم و صبي شجع و خرقاء". فالمتمعن في قوله يكاد يصدقه، لكن سرعان ما ينتبه لشدة بخله شحه، وهذا يتعارض مع ما كانت العرب تجود به من كرم وسخاء خاصة في الطعام.

ب- البخل في الـــملبس :

اللباس هو مظهر الإنسان الذي يبرز شخصيته و صفاته و يعرف من خلاله إن_كان سخيا أو بخيلا حتى على نفسه و ليس فقط على الآخرين، و مما جاء في_هذا نورد ما ذكره سهل بن هارون حين دعى إلى الاقتصاد في الإنفاق بما يتعلق_باللباس: فقال في ذلك: وعبتموني بخصف التّعال، وبتصدير القميص وحين زعمت أنّ_المخطوفة أبقى وأوطأ وأوقى، وأنقى للكبر، وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم_وأن الاجتماع مع الحفظ وأن التفرق مع التضييع.

فكان يرى أن النعل المخصوف والقميص المصدور أفضل وأحسن من حيث الراحة بدل الجديد، لكن هو لم ينظر لهما من باب الراحة والوقاية بل لشدة بخله وشحه لكي لا ينفق مالاً للإتيان بآخر جديد، حتى أنه أصبح يشبه لباسه هذا (أي المرقع و نعله المخصوف) كأنه لباس الزهاد الناسكين المتعبدين، ولإثبات رأيه في هذا ذكر ما كان عليه الرسول صلى الله عليه و سلم بأنه كان يخصف نعله، و يرفع ثوبه[1].

فالقارئ المتفطن حينما يتمعن في قوله وبما كان عليه الرسول عليه أفضل الصلاة و السلام يدرك حيلة وتلاعب سهل بن هارون في مذهبه إلى البخل والشح و الحفاظ على المال من التضييع . وربما نفسية الإنسان الشحيح تكون دائما أحرس على جمع المال و حفظه من التضيع.

جـــ – البخل في المـــال :

و جاء في رسالة سهل بن هارون ما تعلق بالإنفاق بالحلال و الحرام، فحسب رأيه الحلال ينفق في الحلال، و الحرام ينفق في الحرام حيث قال : " وزعمت أن كسب الحلال مضمن بالإنفاق في الحلال، وأن الخبيث ينزع إلى الخبيث، وأنّ الطيب يدعو إلى الطيب،_وأن الإنفاق في الهوى حجاب دون الحقوق، وأنّ الإنفاق في الحقوق حجاز دون الهوى._فعبتم علي هذا القول ."

[1] ينظر: كورتيس، جوزيف، **مدخل إلى اليسميائية السردية**، دار الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧.

أي أن إنفاق المال في ميول النفس وشهواتها يحجبها على أن تؤدي حقوق الناس و العكس أي الإنفاق في الحق و الواجب هو الصحيح.

زد إلى هذا أنه ربط بين الغنى وشرب الخمر، حيث جعل المال يسكر صاحبه في نشوة تدخله في عالم لا يشعر فيه بما حوله، فقال : "إن للغنى سكرا، وإنّ للمال لنزوة، فمن لم يحفظ الغنى من سكر الغنى فقد أضاعه، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر فقد أهمله فعبتموني بذلك."

و لم يقف عند هذا الحد فقط بل أقر بأولوية وأفضلية المال على العلم فقال: "و عبتموني حين زعمت أنى أقدم المال على العلم، لأن المال به يغاث العالم، وبه تقوم النفوس قبل أن تعرف فضيلة العلم، و أن الأصل أحق بالتفضيل من الفرع، و أني قلت : وإن كنا نستبين الأمور بالنفوس، فإنا بالكفاية تستبين، وبالخلة نعمى"[1].

فمن خلال قوله هذا نرى أنه يفضل المال على العلم، ففي رأيه المال هو الذي يحصل العلم لا العكس، و ربما حبه للمال هو ما جعله ينظر إلى أولويته و تفضيله على باقي الأشياء كالعلم الذي ذكره مثلا.

و أصدر حكما في التبذير حيث قال : "عبتموني حين زعمت أن التبذير إلى مال القمار، و مال الميراث، و إلى مال الإلتقاط، و حباء الملوك، أسرع، و أن الحفظ إلى المال المكتسب، و الغنى المجتلب، و إلى ما يعرض فيه لذهاب الدين، و إهتضام العرض، و نصب البدن، و إهتمام القلب أسرع، و أن من لم يحسب ذهاب نفقته، لم يحسب دخله، و من لم يحسب الدخل فقد أضاع الأصل، و أن من لم يعرف للغنّى قدره، فقد أذن بالفقر، و طاب نفسا بالذل."

و نحن نلاحظ كيف تتشاكل تلك النماذج في كل مرة و تتواتر في تأكيد سلوك و خلق مدحه و الإشادة به و كيف تباين خلق و سلوك الكرم و السخاء و تذمه و كأنها في كل مرة تعقد مقارنة محسومة بين كل منهما في انتصار ساحق على الكرم من مناحي شتى بزعمهم.

د- البخل في السلوك و المعاملات :

يتأثر السلوك الإنساني بعدة عناصر متداخلة منها الدينية، الأخلاقية، الاجتماعية_و الاقتصادية... و غيرها، فيتطبع بها وسنبدأ بعرض مجموعة صور تمثل سلوكيات فردية_فيها

[1] ينظر: القاضي، محمد، **معجم السرديات**، دار محمد علي للنشر، تونس، ٢٠١٠.

ضرب من التعدد في معاني البخل الذي يرسم وجها ذا سمات سلبية بؤرية في كامل_قصص الكتاب، و قد ظهر ذلك عبر اتجاهين: سلوك فردي و سلوك جماعي في البخل و_الشح[1].

ثانيًا: بخل النساء:

البخل ليس صفة لصيقة بالرجال، بل هو فيما ذكره الجاحظ يمس أصنافا عدة وأعمارا كثيرة لم يسلم منه الصغير و لا الكبير و لا المرأة و لا الرجل، بل و حتى الحيوان، و نذكر هنا حالات عن بخل النساء في ثلاث نماذج موجودة في الكتاب هي كالآتي[2]:

• "**قصة مريم** الصناع مع إبنتها التي زوجتها وهي بنت إثنى عشر لتتخلص من مؤنتها ومصروفها وتربيتها، فحلتها الذهب و الفضة، و كستها المروى و الوشي و القز و الخز، و علقت المعصفر ، و دقت الطيب، و عظمت أمرها في عين أهلها ، و رفعت من قدرها عند الأحماء.

فكان هذا أمر غريب بالنسبة لزوجها (زوج مريم الصناع) ، فهو يعلم بضيق حال العيش، و عدم قدرته على تكلف مال زواج ابنته ،فشرحت له مريم الأمر بأنها منذ يوم ولادتها إلى أن زوجتها كانت ترفع من دقيق كل عجنة حفنة، على أنها كانت تخبز في كل يوم مرة ، فإذا إجتمع المكوك باعته".

فالقارئ لقصة مريم و إبنتها يبدو له في الوهلة الأولى أن ما قامت به هو أشبه للتوفير من البخل، لكن لو نظر في مدة هذا الفعل طول مدة وجود إبنتها عندها لكشف بخل مريم في كل يوم لتصل لهذا، فهي كانت تبخل على نفسها وبيتها طول هذه المدة لتكون النتيجة إظهار لكرم ، فحتى تظهر كرمها حقيقة كان يجب أن تقوم بفعل البخل ليتحقق أمرها ، و عليه نرى أن هناك ثنائية قامت بها مريم ألا وهي البخل والكرم التي زادت من إنسجام و تجانس معنى البخل في الكتاب.

ثالثًا : بخل الصبية :

قد لا يحتاج البخل إلى تجارب حياتية طويلة، أو إلى عمر كبير ليكون خيارا أخلاقيا وسلوكيا للبخيل، بل إن البخل قد يوجد في الصغار مع حداثة سنهم، فعنصر الوراثة فيه كبير، قال أحمد بن رشيد: كنت عند شيخ من أهل مرو، وصبي له صغير يلعب بين يديه، فقلت له إما عابثا

---

[1] ينظر: شعراوي، محمد، **التشاكل في التراث العربي**، دار ابن الترمذي، الكويت، ٢٠١٩.

[2] ينظر: فادي، علي، **معجم الخطاب السردي**، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٦.

وإما ممتحنا : أطعمني من خبزكم، قال: لا تُريده هو مر ! فقلت : فأسقنى من مائكم ، قال : لا تريده هو مالح، قلت: هات كذا و كذا ، قال : من لاتريده ، هو كذا و كذا ! إلى أن عددت أصنافا كثيرة"[1].

فالملاحظ لكلام الصبي يدرك أن البخل جرى في طباعهم وساد جميع فئاتهم الاجتماعية وأصبح لديهم فطرة جبلوا عليها.

رابعًا : بخل الحيوانات :

لم تسلم الحيوانات من هذه الصفة و هذا الخلق، فمما تجلى في هذا نذكر: "**قصة ديكة مرو**" :قال ثمامة: " لم أر الديك في بلدة قط إلا وهو لاقط ، يأخذ الحبة بمنقاره، ثم يلفظها قدام الدجاجة إلا ديكة مرو ، فإني رأيت ديكة مزو تسلب الدجاج ما في مناقيرها من الحب! قال : فعلمت أن بخلهم شيء في طبع البلاد ، و في جواهر الماء ، فمن ثمّ عمّ جميع حيوانهم"

فالبخل كما قال عم حتى حيواناتهم، ومنه نستنتج أن البخل موجود في الناس و في الطبيعة و في الحيوانات، بل في الماء وفي الهواء، هذا ما يؤكد لنا تأصل البخل في طبعهم.

بعد تبيان تجليات بني البخل التي وردت في الكتاب ، نستنتج أن هناك تماثل و تشابه كبير بينها، فكل واحدة منها رغم اختلاف سياقها و موضوعها إلا أنها كانت كلها تنحو منحى واحدا و تهدف لتحقيق هدف و غاية واحدة ألا و هي " فلسفة البخل"، و ربما هذا التماثل الكبير الذي جعلهم يتخذوها منهجا واحدا في حياتهم راجع إلى الطبيعة التي جبلوا و فطروا عليها حتى أصبح هذا الأخير (البخل) يسري في عروقهم، و عليه فهذا التشامل و التماثل و التشارك الذي وجد ليحقق هدفا واحدا بينها أحدث تشاكلا انسجاما و اتساقا داخل الكتاب ككل ليؤكد و يوضح لنا معنى البخل الذي مس جميع فئات ونواحي و عناصر المجتمع و البيئة[2].

ثانيًا : التشاكل السميولوجي :

السمات السميولوجية :

نعني بالسمات السميولوجية تقسيم الكلسيمات السياقية إلى مجموعة من المقومات أو السمات النووية الجوهرية العرضية التي تتكون منها الصورة الدلاليةأو

[1] ينظر: عباس، مريم، **التشاكل في المفهوم العربي**، دار ابن خلدون، بغداد، ٢٠١١.

[2] ينظر: عباس، مريم، **التشاكل في المفهوم العربي**، دار ابن خلدون، بغداد، ٢٠١١.

السياقية ، كما كان يفعل رومان جاكبسون R.jacksonh مع الأصوات ، وذلك باستعمال الموجب والسالب ، كما يتضح لنا ذلك بجلاء في مثالنا هذا :"الرجل ينبح "[1].

"الرجل ": (حي (+) مذكر /+عاقل /+/بالغ/

"ينبح" :/ فعل /+/صوت/+/يسند إلى حيوان/−/عاقل/.

و هكذا فقد فككنا الصورتين أو الكلسيمين إلى مجموعة من السمات النووية أو المعلومات الجوهرية و العرضية . وبالتالي فهما يتشاركان في صفة للحياة ، ويختلفان في الكثير من الصفات المميزة، وخاصة العقل.

و منه فالقراءة الجزئية التفصيلية للوحدات السردية و المسارات التصويرية مكنتنا فعلا من استنساخ **التشاكلات السيميولوجية** التي هي في الأصل آثار للمعنى في بناه المركزية (الجوهرية) و الفرعية (المرحلية) و السياقية ، و يمكن استقطابها في المقومين المعرفيين: البخل والسخاء لتكون ترسمتهما كالأتي[2]:

مقوم البخل : يحيل إلى السيمات السيميولوجية الآتية:

رجل:/مثقف/+/مذكر/+/عاقل/+/بالغ/+/حي/+/إنطوائي/+/معقد/+/بخيل/+/شحيح/+/حريص/+ /قلق/+/منفرد/+/ناكر للجميل/+/عزة النفس/+/حيلي/+/حكيم/+ /فصيح/+/ يحاجج و يقدم البراهين/.

إمرأة: صاحبة إصلاح /+/أنثى/+/عاقلة/+/بالغة/+/حية/+/ذات اقتصاد/+/مدبرة/+ /ذكية/ +/حسن التصرف/+/حكيمة/.

صبي:/طفل/+/مذكر/+/عاقل/+/حي/+/شحيح/+/بخيل بالفطرة/.

حيوان:/حي/−/عاقل/+/ذو غريزة/+/عادة/+/شحيح/.

وعليه فانسجام وتجانس عناصر هذا الكتاب و تشاكل مقوماته السميولوجية أدى إلى تأكيد معنى البخل و تأصيله في جميع نواحي الحياة و فئاتها و خلق انسجام و تجانس داخل رسالة الجاحظ و وحد كل معانيها و كثفها لتؤكد دوما على هذه الظاهرة الاجتماعية اللافتة.

---

[1] ينظر: أحمد، عزت، **فلسفة الأخلاق عند الجاحظ**، أتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.

[2] ينظر: شعراوي، محمد، **التشاكل في التراث العربي**، دار ابن الترمذي، الكويت، ٢٠١٩.

ثالثًا: التشاكل الدلالي :

- السمات الدلالية :

نعنـــى بالسيمات الدلاليـــة المقولات التصنيفية أو المقولات الفكرية و الكونيـــة الخارجيـــة التـــي تحـــدد مجموعـــة مـــن السيمات السميولوجية أو النووية. و تحيـــل هـــذه السيمات المقولاتية التصنيفية على القيم الكونية و الفكرية و الذهنية الفلسفية الخارجية و الإيديولوجية النصية. ففي المثال السابق يمكن الحديث عن مقولتين[1]:

/إنساني/+/طبيعي/+/جنس/..... ويمكن الحديث في أمثلة نصية أخرى عن الإقتصادي و الإجتماعي و النفسي والأخلاقي .... و غير ذلك ، من مقولات فكرية تصنيفية يستوجبها التحليل السيميائي للسمات النووية و السياقية.

• <u>التشاكلات الدلالية في الكتاب :</u>

تتيح لنا التشاكلات الدلالية القراءة الموحدة لمقولات السرد في الكتاب كله باعتبارها تواتر وتكرار للمقولات الفكرية والكونية الخارجية، و التشاكل الدلالي أعم جميع التشاكلات السيميولوجية و أشمل من التشاكل السيميولوجي، إذ تنضوي تحته و السياقية، و هو ما يمنح النص تلكم القراءة الموحدة المنسجمة.

و تبعا لتواتر السمات النووية في البخلاء يمكن توصيف المقومات الدلالية في معنين مركزيين هما: **البخل و السخاء**[2]:

١. يحيل معنى البخـــل فـــي التشاكل الدلالي /نفسي/ إلى دلالات : القلق، الأنانية، الانفرادية، سوء الظن، الحرص، الحيلة ، التلاعب، البؤس، عدم الثقة، الحزن، الانكسار، الوساوس النفسية، نظرة تشاؤمية...

و يظهر ذلك من خلال المقولات النصية التالية: "أكلي وحدي هو الأصل"، "أكلي مع غيري زيادة في الأصل"، "كيف طمعت في طعامي"، "من أباح لك مالي، ختمت على سد عظيم"، "لم يعرض عليه الطعام و نحن نأكل"، "كان من أبخل خلق الله".

---

[1] ينظر: لحلوحي، صالح، التشاكل والتباين في شعر مصطفى الغمازي، **مجلة الأثر**، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (١٧)، ٢٠١٣.

[2] ينظر: شعراوي، محمد، **التشاكل في التراث العربي**، دار ابن الترمذي، الكويت، ٢٠١٩.

• بينما يحيل معنى السخاء في التشاكل الدلالي /نفسي / إلى الدلالات التالية وفق ما جاء على لسان بخلاء الجاحظ طبعاً: ضعف النفس، وفسادها، عدم تحمل المشقة، الخضوع للنزوات، الافتقار بعد الغني، الاحتياج للغير، و شظف العيش.

٢. و يحيل معنى البخل في التشاكل الدلالي /جسدي/ إلى : الحلق الجهير، اللحية الوافرة، اهتراء اللباس، تمزق الخفاف، أشعث، أغبر، حفظ المال، التحمل و الصبر. من مثل المقولات النصية التالية: "المخصوفة أبقى و أنفى للكبر"، "أشبه للنسك"،" أن الترقيع من الحزم"، "يمشون على أقدامهم ثلاث أشهر، لم يلبسوا خفافهم إلا ثلاثة أشهر مخافة أن تنجرد أو تتقب، "ما أقبح السرف بالعاقل و أسمح الجهل بالحكيم"[١].

• و يحيل معنى السخاء في التشاكل الدلالي /جسدي / إلى الترف الفاني، إضاعة الكثير من المال على شهوات الجسد الفاني ومثال هذا: "ما ظننت أن إهمال النفس و سوء السياسة بلغ بك ما أرى".

٣. كما يحيل معنى البخل في التشاكل الدلالي /أخلاقي إلى دلالات :الشك ، التسرع، الغضب، كبت للشهوات، سوء الظن، القلق ، الحيلة ، التلاعب ، الإنغلاق ، العبوس، كثرة الكلام، الغش، كثرة التبريرات، فصاحة الرد و الحكمة فيه، ومن أمثلة: "ويلك لو ظننت أنك أحمق ما رددت عليك السلام"، "فيكون كلام بكلام"، "أما كلام بفعال، و قول بأكل فهذا ليس من الإنصاف"، "فلما قدم إلى المروزي تتكر له"، "ادعى عدم معرفته"، "لو خرجت من جلدك لن أعرفك"، "فكانوا إذا جاء المصباح شدوا عينيه بمنديل".

بينما معنى السخاء في التشاكل الدلالي /أخلاقي/ فيحيل إلى دلالات : الإسراف، الجهل بعواقب الأمور، سوء السياسة و التقدير، التبذير، فساد الأخلاق، الترف، ذهاب الدين.

٤. بينما يحيل معنى البخل في التشاكل الدلالي / معرفي / إلى دلالات : حكيم، مثقف، واع بما يفعل، فطن، مدرك، ذكي، حافظ، حسن التصرف، يحسب حسابا لكل تصرفوا فعل أو قول مثل: " من عقلائهم و فهمائهم"، "كانت ذوات الاقتصاد"، و صاحبة إصلاح"،" لم أرى وضع الأمور مواضعها"، "و في توفيتها غاية حقوقها"[٢]

---

[١] ينظر: كورتيس، جوزيف، **مدخل إلى اليسميائية السردية**، دار الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧.

[٢] ينظر: الفزني، عبد الكريم، **المضحك في كتاب البخلاء**، دار الوفاء، بغداد، ٢٠١٣.

بينما يحيل معنى السخاء في التشاكل الدلالي / معرفي / إلى دلالات : يحيل إلى الجهل و عدم تقدير الأمور، عدم معرفة أبجديات الحياة السلمية، الخسران، الافتقار بعد الغنى، سوء التحطيط، و من نماذج هذا: "أن الإنفاق في الهوى حجاب دون الحقوق"، و بعد المرور و التطرق لهذه الإزدواجية بين البخل والسخاء و رصد الدلالات التي تنضوي تحتها، و التي مكنتنا من القراءة الموحدة المنسجمة و المتجانسة لبنية الكتاب ، نذهب مباشرة إلى رصد أقطاب المربع السيميائي.

رابعًا : المربَّع السيميائي :

بعد محاصرة البنية العميقة و دراسة السيمات النووية السميولوجية و السيمات الدلالية ، نقف الآن على تخوم البنية المنطقية التأسيسة للنص من خلال ما يسمى بالمربع السيميائي أو مربع الصدق، على أساس العلاقات الأصولية :(تضاد – تناقض – تضمن)، كما يمكن تصور الدلالة ككيان متحرك ينتج عنه توليد المعاني و تحريك المربع السيميائي[1].

فالتناقض كعلاقة شكلية أو منطقية تصلح لبناء أزواج دلالية متناقضة العناصر يصبح عمليه قصصية أو دلالية ، على مستوى التركيب ، يترتب عنها نفي عنصر و إثبات أو إقرار عنصر آخر هو نقيض للعنصر المرفوض أو المنفي . و إذا ما طبقت هذه العملية على مربع علامي مشحون بالقيم ينتج عنها حتما نفي دلالات وإبراز أخرى بصيغة الإيجاب والجزم . و عليه سيكون الشكل النهائي للمربع السيميائي في البخلاء

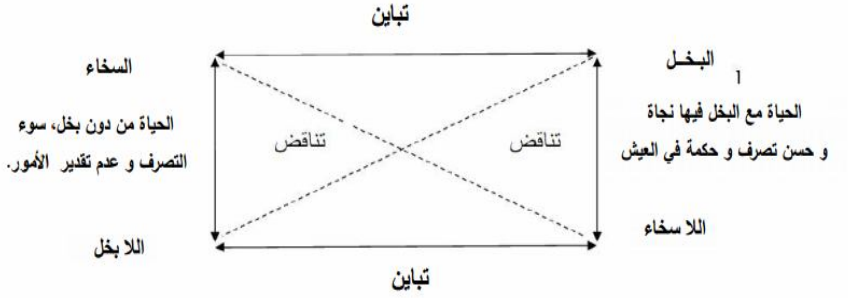

[1] ينظر: لحلوحي، صالح، التشاكل والتباين في شعر مصطفى الغمازي، **مجلة الأثر**، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (١٧)، ٢٠١٣.

لم يكتف بخلاء الجاحظ بالدفاع عن البخل و مدحه و استحسانه سبيلا للعيش و خيارا مناسبا للحياة السوية، بل تعدو ذلك إلى ذم الكرم و تقبيح البذل و العطاء ومباينة السخاء و التنفير منه و من عواقبه الوخيمة على المال و النفس و البدن.

والملاحظة الثانية أنه من خلال النماذج المدروسة غلب البخل في مجال الطعام و الأكل على بقية مظاهر البخل و أشكال الشح الأخرى، و هو ما يفسر بشدة الفقر و حجم الفاقة التي كان يعيشها المجتمع العباسي حينها ، إذ كان الحصول على قوت اليوم هو ما يؤرق كاهل الفرد و ينغص عيشه.

الخاتمة :

وفي نهاية هذا البحث نعرض جملة من النتائج أهمها :

- أن التشاكل أداة إجرائية ساهمت في تعميق الممارسة النقدية السيميائية، و كأداة إجرائية ساعدتنا في الإحاطة ببعض الجوانب الجمالية الفنية و الكشف عن مضمون الرسالة الإبلاغية المقصودة لكتاب البخلاء للجاحظ.
- كما كشفت آلية التشاكل عن كيفية نسج النص و استخراج كنوزه و مدي تعالق مفرداته و حقله الدلالي.
- استطاعت هذه الآلية أن تكشف عن مدى توحد و تشاكل بني البخل داخل الكتاب و تعمق معناه و أساسياته و أطرافه و بواعثه و بيئته...
- اعتمدت معظم قصص البخلاء على ألفاظ و عبارات كلها تصب في معجم دلالي واحد (معجم البخل).
- أن الجاحظ يغوص في أعماق شخصية البخيل و يتفاعل معها إلى درجة أنه ساق أقاصيصه عن البخل و البخلاء و الادخار و النفقة و النفرة من الإسراف و التبذير.
- أن البخل شمل جميع طوائف المجتمع، صغارا، كبارا، نساء، رجالا، وحتى الحيوانات لأن مذهب البخل تأصل فيهم.
- أن بخلاء الجاحظ لم يكتفوا بمدح البخل، بل تعدوه إلى ذم الكرم وجعلوه إسرافا وتبذيرا.

مقترحات لدراسات مستقبلية :

- إجراء دراسة بعنوان: المربع السيميائي في كتاب البخلاء للجاحظ.
- إجراء دراسة بعنوان: تشاكل العنونة في كتب الجاحظ.

المصادر والمراجع :

- أحمد، عزت، **فلسفة الأخلاق عند الجاحظ**، أتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥.
- أحمد، مداس، التشاكل والتباين في الخطاب الشعري، **مجلة الآداب**، المجلد ٨، العـــدد (٤)، ٢٠٢٠، ٣٤- ١٠٠.
- التو، آمال، التشاكل في شعر عبد الله البردوني، **رسالة ماجستير**، كليـــة الآداب واللغـــات، جامعة محمد بوضياف، الجزائر، ٢٠٢١.
- شعراوي، محمد، **التشاكل في التراث العربي**، دار ابن الترمذي، الكويت، ٢٠١٩.
- عباس، مريم، **التشاكل في المفهوم العربي**، دار ابن خلدون، بغداد، ٢٠١١.
- عمر، أحمد مختار، **سيميائية النص الأدبي**، دار الثقافة والعلم، الشارقة، ٢٠٠٧.
- فادي، علي، **معجم الخطاب السردي**، دار الهلال، القاهرة، ٢٠١٦.
- الفزني، عبد الكريم، **المضحك في كتاب البخلاء**، دار الوفاء، بغداد، ٢٠١٣.
- القاضي، محمد، **معجم السرديات**، دار محمد علي للنشر، تونس، ٢٠١٠.
- كورتيس، جوزيف، **مدخل إلى اليسميائية السردية**، دار الاختلاف، الجزائر، ٢٠٠٧.
- لحلوحي، صالح، التشاكل والتباين في شعر مصطفى الغمازي، **مجلة الأثر**، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (١٧)، ٢٠١٣.